عدد كبير منها شارك في معرض الكويت الدولي الأخير للكتاب

دور النشر السورية والعراقية .. الثقافة تحت الحراب !

(تصوير: صالح محمد)

كتب: ياسر السيد

في معرض الكويت الدولي الذي اقيم في النصف الآخر من الشهر الماضي ، كان لافتا ان عددا كبيرا من دور النشر السورية والعراقية تشارك في المعرض ، وتعرض عددا كبيرا من إصداراتها ، كما ان معدلات الإقبال عليها جيدة ، وتتميز ايضا بانها تحتوي على عدد كبير من الترجمات عن لغات مختلفة ، رغم ما تعانيه دور النشر من ازمة تكاليف، نتيجة ارتفاع اسعار صناعة الكتاب، الأمر الذي ادّى إلى توقّف بعضها عن العمل ، ومن بقي يواجه ازمة محتملة في الاستمرار.

ومن المؤكد اننا امام ظاهرة جيدة ومشجعة ، حاولنا استقصاءها عبر نقاشات اثرناها مع بعض الناشرين السوريين والعراقيين ، مستعينين في ذلك ايضا بشهادات سابقة لبعضهم ولعدد من الكتاب والمثقفين في البلدين .

يقول احد اصحاب دور النشر : لطالما خطر لي، أن دور النشر السورية لم تكن بخير أبدا، كما لم يكن المواطن السوريّ بخير، في سعيه وراء لقمة العيش وأولويات الحياة. وأتحدث هنا عن عقود ما قبل الحرب السورية. قبل هذه الحرب، كانت هناك مشكلة انحسار القراءة في سورية، ومشكلة الرقيب، والمشكلة الأكثر أهمية، وهي ارتفاع تكلفة الطباعة مقارنة بدخل الفرد السوريّ.

يضيف : منذ بداية الحرب، توقفت بعض دور النشر، مثل داري، عن تبنّي الكتاب والنشر على نفقتها وتحوّلتْ إلى مجرد «دكاكين» تطبع على نفقة المؤلف.

ويؤكد أن دور النشر السورية لم تتأثر بالانقسام بين المثقفين السوريين، ولم تنقسم بين دور «موالية» وأخرى «معارضة» ، فأنا نشرتُ لكلا «الفريقين» ، لكنني تقيّدتُ بمعايير وضوابط المؤسسة الرقابية خوفاً على رقبتي؛ وكذلك فعل معظم الناشرين السوريين، ومعظمهم من الكتاب أو المهتمين بالثقافة.

ناشر آخر يرى أن مقاطعة المعارض العربية للنظام شكلت ضربة قاصمة ، فحرمان الناشر السوري من المشاركة في معرض الرياض، وهو أهم المعارض العربية بالنسبة لكل الناشرين العرب من حيث المبيع وبالأسعار العادلة، بالإضافة إلى مقاطعة المعارض الأخرى لهؤلاء الناشرين، هي بداية النهاية للنشر السوري. سيكون النشر السوري قطاعاً جديداً بالانهيار. وكما كان هناك من سعى إلى تدمير المؤسسات الصناعية والإنتاجية في المدن السورية الكبرى، فإن هناك من يسعى إلى نسف الثقافة السورية ومؤسساتها.

يضيف : لا أمل لديّ . أرى سورية الآن بلداً خربا من الناحية الثقافية، فكل الكتّاب أصبحوا في الخارج، وكذلك القراء والمثقفون، وربما سيتبعهم من استطاع من الناشرين.

انتكاسة حقيقية

ناشر ثالث يوضح أن دور النشر السورية ، شأنها شأن مختلف المؤسسات الثقافية الأخرى، تعرضت لانتكاسة حقيقية بعد الثورة، كنتيجة طبيعية لحالات الثورة من قتل، دمار، تهجير وهجرة غير مسبوقة. أدت تلك العوامل إلى انخفاض واضح في مستوى دور النشر السورية بسبب هجرة الكفاءات التقنية، التي كانت تعمل في تلك المؤسسات، وكذلك تناقص في المساحة التي كانت تنشط فيها بسبب سيطرة عدة جهات على المحافظات السورية، وعدم قدرة دور النشر على بلوغ تلك المناطق.

يضيف : من جهة أخرى فإن المدن الأخرى، التي تنشط فيها دور النشر تلك، وتعتبرها سوقا لمنتاجاتها تعاني من نزيف كبير في الكتلة البشرية نتيجة الهجرة خاصة لأصحاب الكفاءات والمثقفين، الفئة المستهدفة بشكل مباشر من قبل دور النشر.

إغلاق وتراجع

يقول ناشر آخر : بالطبع، أغلقت مكتبات شهيرة، وتراجعت المبيعات كثيرا، وتضاعفت تكاليف النشر انسجاما مع انهيار العملة. وإلى ذلك، تقلّت دور النشر كل أو بعض أعمالها إلى القاهرة أو بيروت أو الإمارات، ولكنك حيث تزور أي معرض عربي للكتاب، سيدهشك عدد دور النشر السورية المشاركة من الداخل، ما عدا معارض الكتاب الدولية في الرياض وجدة والدار البيضاء، حيث تمنع مشاركة دور النشر السورية في الداخل. وبالطبع، لا يقدم ذلك مع النظام ولا يؤخر، وإنما يضاعف هذا المنع من أعباء دور النشر الخاصة، حيث يندر أن يتجاوز عدد النسخ من الكتاب ألف نسخة، كما هو الحال في دور النشر العربية عموماً.

ويذهب كتاب ومثقفون سوريون إلى أن الوضع الثقافي السوري سيتأثر بدول اللجوء، رغم كارثية تجربة اللجوء إلا أنه برأيي سيكون لها فوائد من حيث اطلاع العاملين في المجال الثقافي السوري على ثقافات وتجارب جديدة، فرصة للانفتاح على العالم بعد العيش في القوقعة السورية.

دور النشر العراقية تحاول .. ولكن !

لا شك أن دور النشر العراقية تتعرض بدورها لأزمات ومشكلات عديدة ، رغم أنها تحاول بكل جهدها التعافي من آثار سنوات الحرب والعنف والدمار ، ويشير بعض المثقفين العراقيين إلى ظاهرة مقلقة ، تتمثل في أن الكتب التي تركّز على أفكار العنف والطائفية والفتن التاريخية لا تتجاوز أسعارها سعر «الساندويش»، وبعضها يوزع مجاناً، بينما ترتفع أسعار الكتب العلمية التي تخدم الطلاب والباحثين إلى عشرين دولاراً ، ويصل بعضها إلى خمسين دولاراً».

ويؤكد عضو في لجنة الثقافة البرلمانية أنّ الكتب المسيطرة في دور النشر العراقية ، تشكل نموذجاً لنشر ثقافة العنف الطائفي، ونشر الفتن، والترويج للميليشيات» ، فيما يؤكد اكاديميون أنّ «العراق اليوم بحاجة الى نشر قيم التآخي والتسامح، ما يتطلب إصلاحاً ثقافياً، ونبْذ كل الثقافات الطارئة فيه».

حديث شائك

د . إيناس عمر

صباحكم اشراقه تهتدي لضيها من دفء قلوبكم
بادىء بدىء استهل حديثي هنا ، عن كيف تفكر المراة ؟ عن عقلها ؟
عقل المراة هو كتله واحدة من الأفكار لا تتجزا ،
لا تستطيع ان تنحي العاطفه جانبا حين تفكر ..
هي ليست رجلا لتفعل ..
بل تجمع الحقائق والأحداث والأفكار والظنون ايضاً
وربما تشغل الظنون كثيرا
وهذا عائد بالطبع الي هويتها وفطرتها
فالحب والعاطفة اصله امراة هكذا خلقنا
وهنا نناقش فكره ازليه
هل العقل ذكر ام انثى ؟
حديث شائك هو
فحين نتعمق في كنه المراه ندرك انها ليست اكثر وضوحا او جموحا من الرجل ، يعود هذا لكونه مرتب الأفكار ، عقله يبدو كملفات او ادراج منفصله لا يرتبط احدها بالآخر . ليس هناك وصلات حيية تربط بين هذه الأدراج على العكس من المراة ، فإن عقلها مترابط الأفكار متشعب لا يفصل العاطفة عن الفكرة ، لذا نجد الرجل حين يعمل يتوحد مع فكره واحدة وهدف واحد ، لا يحيد عنه ، يفقد تركيزه اذا قاطعه احد ، وربما يثور ويغضب

بينما المراه تستطيع بكل اريحية ان تنشغل باكثر من امر في آن واحد ، فتراها تتصفح جوالها وتعد الطعام وتساعد أطفالها في اداء مهامهم ، ودون اللفق تستطيع مقاطعتها بيسر ، فلن تعترض او تمل .

ومن البديهي ان ندرك ان التكوين العقلي للرجل يجعله يفصل بين الأمور التي قد ترى المراه انها لا يمكن فصلها ، ولنضع مثالا : حين يناقش الرجل مشكلة ينشغل بوضع الحلول . وقد يتطور الامر لانغماسه في إثبات رأيه وربما تهور في حديثه واذاها ، وتجده بعض دقائق يعود ليحدث نفس المراه حديثا هادئا ، وقد يتصرف كان لم يصدر منه شيء البته ، هذا لانه قد اغلق ملف الازمه كاملا ، ولكنه لم يستوعب ان المراه كائن مختلف لديه احتياج آخر ، فهي حين تناقش المشكله ربما لا تبحث عن حلول ، بقدر ما تريد دعما او اهتماما ، او مجرد اذان تنصت بشدة ، تعي كل بوحها دون تذمر .

وإذا تطور الامر في حدة او عنف في حديث الرجل معها ، فهي لا تفصل مطلقا بين ما كانت تنتظره منه ، وما لاقته من إيذاء عقلها ، تمحور هنا وربطت الفكره عاطفيا ، فحين يحدثها هذا الرجل مجددا في أمر آخر إدراكه ، مقصور على انها لم تحسم هذا الملف بعد ، وانها تحاول جاهدة بحثا عن مخرج عاطفي ومنطقي يدعم

حين نسبر أغوار عقل امراه ونتخلل عقلها نجد الامر جد محير

انها كائن بديع بمزج العاطفه بالفكره بتناسق متفرد لانها تفكر بقلبها وعقلها معا

وربما لانها اخر ما خلق على الارض فكانت كمالا وروعه

وحين تضحي الفكره

كيف نستطيع فك الاشتباك بين عقلي رجل وامراه

ولما يجب ان يدرك كلاهما ان الاخر مثلما له تكوين جسدي مختلف له ايضا تكوين عقلي مختلف

ووجب ان ننوه ان هذا الإدراك قد يخفف وطاة المشكلات التي تعترضهم ، فمثلما ان عقل الرجل يملك مساحات شاسعه من الرغبه المطلقه كحاجه غريزيه متاصلة ، فعقل المراه ليس على النقيض ، الامر فقط انها تربطها بالعاطفة

لذا عزيزي الرجل

عقل المراه متصل بطريقه ما بقلبها ، فإذا اردت ان تتعلم فن التواصل معها اعزف على هذا الوتر وبقوه دوما وابدا وبصدق

والي لقاء اخر مع حديث شائك.